

الرد على من حرف آيات الصفات

..... الأشعري الذي تنتسب إليه الأشاعرة خالفهم لما ذكر الاستواء في رسالته "الإبانة" يقول فيها: إنهم يقولون: { تَمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } ولو كان كذلك لم يكن فرق بين الأرض، وبين العرش، وأجمع المسلمون على أنه لا يجوز أن نقول: ثم استوى على الأرض، أو ثم استوى على الجبال، وذكر أن الاستواء إذ هو العلو؛ سَيِّمًا إذا عُدِّي بعلی، والآيات كلها مُعْدَاة بعلی؛ على العرش، فهو مثل قوله في سفينة نوح { وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ } يعني: استقرت، وارتفعت على الجودي الذي هو جبل، فأفاد بأن الاستواء هو العلو؛ أنه يفسر استوى ب (علا)، أو ب (ارتفع)، أو ب (صعد) أو ب (استقر) هذه تفاسير أهل السلف؛ أي سلف الأمة، وأما استولى فإنها من تأويلات الجهمية. هذا معنى "أصونها عن كل ما يتأول" يعني: عن التأويلات التي يسلكها هؤلاء، ويريدون بها تحريف الكلم عن مواضعه، ويريدون بها ألا ترد عليهم، ولا تخالف معتقدهم السيئ، يؤولون قوله تعالى: { كَلَّ شَيْءٍ هَالِكًا إِلَّا وَجْهَهُ } يقولون: الوجه هو الذات، وكذلك في قوله: { بَلَّ يَدَاَهُ مَبْسُوطَاتَانِ } يقولون: اليد هي القدرة: { بَلَّ يَدَاَهُ } يعني: قدرته: { لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ } أي: بقدرتي. لا شك أن هذا تغيير وتحريف، وتأويل بعيد، وكذلك أيضا يؤولون الآيات التي فيها الأفعال بما يبطل دلالتها. فيقولون في قوله: { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ } أي: جاء أمره لا أنه يحيى كما يشاء. وكذلك يتأولون قوله: { يَهْلُ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ } أي: يأتيهم أمر الله؛ لا أن الله يأتي كما يشاء، وكذلك يؤولون الرضا في قوله: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ } أن الرضا هو إرادة الإنعام، وأن الغضب هو إرادة الانتقام ونحو ذلك، ولهم شبه يُدلون بها عند هذه الأدلة، وسبب ذلك: أنهم تلقوا هذه العقائد عن مشايخ يتقون بهم؛ فصعب عليهم أن يخالفوا معتقد مشايخهم فتشبهوا بتلك العقيدة، وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة، فتجدون مثلا عقيدة اسمها (الخريدة) من عقائد الأشاعرة؛ مطبوعة ولها شروح، وعقيدة اسمها (الشيبيانية) مؤلفها كانه قريب من معتقد أهل السنة إلا في بعض الكلمات يعني: في مثل العلو والفوقية. يفهم من كلامه عدم الاعتراف بذلك حقا فهو يقول: فلا جهة تحوي الإله وما له مكان تعالى عنهما وتفردا إذ الكون مخلوق وربى خالق لقد كان قبل الكون ربا وسيدا ولا حل في شيء تعالى ولم يزل غني الحدود البائن العز سرمدًا هذا معتقد فيه، وشارح هذه العقيدة أيضا أشعري تأول فيها الكثير من النصوص التي فيها قرب من معتقد أهل السنة؛ وأنه ذكر حقيقة كلام الله تعالى لموسى في قوله: على الطور ناداه وأسمعه النداء فيقول: إن المراد خلق كلاما سمعه موسى لا أنه سمع كلام أو عين كلام الله، وهذا تأويل بعيد. يلاحظ الذي عنده شرح الشيبيانية أن هذا الشرح شارحه أشعري أوّل فيه كثيرا من هذه النصوص، وكذلك العقائد النسفية مَلِيَّةٌ أيضا بالمخالفات، ولو كانت مختصرة، وهكذا أيضا شروحا؛ فعلها شروح كثيرة. هذه العقائد طبعت في مجموع المتون الذي طبع مرتين في قطر وورّع بكثرة. فيها عدد من المتون، وأكثرها متون الأشاعرة ومتون التوحيد يعني: ما يتعلق بالعقيدة. علينا أن نهتم بعقائد أهل السنة، ففيها الكفاية والحمد لله. فعندنا كتاب السنة للإمام أحمد وكتاب الرد على الجهمية لما شككت فيه من متشابه القرآن، وكذلك أيضا كتاب السنة لابن عبد الله وكتاب الإيمان ابن أبي شيبه وكتاب الإيمان أبي عبيد القاسم بن سلام وكتاب السنة لابن أبي عاصم وكذلك شرح السنة للبرهاري إمام من أئمة الحنابلة ألف هذه الرسالة، وقد طبعت طبعين؛ فنعتمد هذه العقائد، ونشتغل بها عن عقائد الأشاعرة والمعتزلة. أما العقيدة الطحاوية؛ فالطحاوي -رحمه الله- كان حنفيًا، وفي زمانه انتشر معتقد الأشاعرة وتمكن؛ فألف هذه العقيدة وجاء فيها بكلمات قد يفهم منها أنها على معتقد الأشاعرة ونحوهم؛ فذكر أن الله تعالى منزّه عن كذا وكذا... إلى قوله: لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، والشارح ابن أبي العز من أهل السنة تأثر بشيخه ابن كثير؛ فلأجل ذلك حرص على أن يقرب عقيدة الطحاوي حتى تكون على معتقد أهل السنة؛ وذلك لأن الذين شرحوها قبله وهم ستة أو سبعة كلهم حرفوها، وجعلوها على معتقدهم، وتأولوا ما فيها تأويلا بعيدا. لم يصرح فيها -رحمه الله- بالصفات الفعلية تصرّحا ظاهرا؛ وذلك لأنه خشي أن لا تقبل منه، وخشي أن تكون مخالفة لمعتقد أهل زمانه. فيُعتمد شرحها الذي هو شرح ابن أبي العز الذي يقرأ في المدارس، في الجامعات ونحوها، ولا يعتمد على بقية الشروح.